

التفسير المحرر 28-10128-1.0

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْمرأةِ الَّتِي تُحاورُكَ وَتُراجِعُكَ -يا مُحَمَّدٌ-
فِي شَأْنِ زَوْجِها الَّذِي ظاهَرَ مِنْها، خَوْفاً مِنْ فِرَاقِ زَوْجِها بِذلِكَ
الظَّهارِ، وَتَشْتَكِي تِلْكَ المُجادِلَةَ إِلى اللَّهِ تَعالَى
ما لَدِها مِنَ الهمِّ وَالضَّرِّ بِسببِ ذلِكَ، وَتَسأَلُهُ الفَرَجَ، وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَخاطُبَكُما وَمُراجَعَتَكُما الكلامَ فِيما بَيْنَكُما، إِنَّ اللَّهَ لَهُ كَمالُ
السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، فَأَحاطَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فلا تَخَفِ
عَلَيْهِ خافِيَةً

الَّذِينَ يُحَرِّمونَ مِنْكُم زَوجاتَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِم بِتَشْبِيهِنَّ بِظُهورِ
أُمَّهاتِهِم، فيقولونَ لَهِنَّ: أَنتُنَّ عَلَيْنَا كظُهورِ أُمَّهاتِنَا؛ ما نَسأُوهُم
اللَّائِي يُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ بِأُمَّهاتِهِم؛ بل هُنَّ لَهُنَّ حلالٌ، ما أُمَّهاتُهُم
فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُم، لا زَوجاتَهُم اللَّائِي ظاهَرُوا مِنْهُنَّ،
وَإِنَّ المُظاهِرِينَ مِنْ نِساءِهِمْ لَيَقولونَ بِظُهارِهِم هذا قولاً شَنِيعاً لا
يُعرَفُ فِي الشَّرْعِ، وَكَذِباً لا حَقِيقَةَ لَهُ! وَإِنَّ اللَّهَ لَبالِغُ العَفْوِ عَن
ذُنُوبِ عِبادِهِ -فَيتجاوزُ عَنْها، وَلا يُعاقِبُهُم بِها-، بِالِغِ المَغْفِرَةِ لَهُم
فَيَمحو عَيْنُها وَأَثَرُها، وَيَسْتُرُها عَلَيْهِم

وَالَّذِينَ يُحَرِّمونَ نِساءَهُم عَلى أَنْفُسِهِم بِالظَّهارِ، ثُمَّ يُريدُونَ
العَوْدَ إِلى ما حَرَّمُوهُ عَلى أَنْفُسِهِم فَعَلَيْهِم عِتْقُ رَقَبَةٍ كَاملَةٍ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ جِماعٌ، وَجَبَ عَلَيْكُم ذلِكَ العِتْقُ؛
مَوْعِظَةٌ لَكُم؛ لِيَتَنَّهُوا عَنِ الظَّهارِ، وَتَنَزَّجُوا عَنِ الوُقُوعِ فِيهِ
ثانِيَةً، وَاللَّهُ بِجَمِيعِ ما تَعَمَلُونَهُ مِنْ هذا التَّكْفِيرِ وَغَيرِهِ ذُو خِبرَةٍ
بِالِغَةِ تامَّةَةٍ، فلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيُجازِي كُلَّ عامِلٍ بِعَمَلِهِ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً يُحَرِّرُها وَجَبَ عَلَيْهِ صِيامُ شَهرَيْنِ مُتتابِعَيْنِ
بِلا إِفطارٍ بَيْنَهُما، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ جِماعٌ فَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ صِيامَ شَهرَيْنِ مُتتابِعَيْنِ وَجَبَ عَلَيْهِ إِطعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً،

هذا المفروضُ عليكم في كَفَّارَةِ الظَّهَارِ قد شَرَّ غناه لكم؛ لِثَوَمِنُوا باللهِ وبرَسولِهِ مُحَمَّدٍ، فَتَعَمَلُوا بِحُكْمِ اللَّهِ، وَتَنْتَهَوْا عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَتَلَّكَ الْحُدُودُ الَّتِي حَدَّهَا اللَّهُ لَكُمْ، وَالْفُرُوضُ الَّتِي بَيَّنَّهَا لَكُمْ: هِيَ حُدُودُ اللَّهِ؛ فَلَا تَتَعَدَّوْهَا، وَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَلِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، النَّارُ كَيْنَ الْعَمَلِ بِأَحْكَامِ شَرِّعِهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ: عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ.

إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ وَيُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّهُمْ يُرْتُونَ عَنْ مُبْتَغَاهِم هَذَا بَغْضٍ وَإِذْلَالٍ وَإِغَاطَةٍ لَهُمْ، كَمَا وَقَعَ لِلْمُخَالِفِينَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ، لَيْسَ لِأَحَدٍ حُجَّةٌ أَوْ عُذْرٌ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَلَا يَخَالِفُهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سِوَى مُكَابِرٍ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُهَيِّئُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهَيَّئٌ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، أَحْصَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا عَمِلُوهُ، فَعَدَّهُ وَأَثَبْتَهُ وَحَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ عَامِلُوهُ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا عَمِلُوهُ وَغَيْرِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ حَاضِرٌ لَا يَغِيبُ، وَحَفِيزٌ رَقِيبٌ

أَلَمْ تَعْلَمْ -يَا مُحَمَّدُ- أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ، وَجَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَقْوَالِ عِبَادِهِ وَأَعْمَالِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ؟ لَا يَتَحَدَّثُ ثَلَاثَةٌ مِنَ النَّاسِ سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى رَابِعُهُمْ بَعْلُمُهُ، يَسْمَعُهُمْ وَيَرَاهُمْ، وَلَا يَتَحَدَّثُ خَمْسَةٌ سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى سَادِسُهُمْ بَعْلُمُهُ، يَسْمَعُهُمْ وَيَرَاهُمْ، وَلَا يَتَحَدَّثُ سِرًّا أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَهُمْ بَعْلُمُهُ، يَسْمَعُهُمْ وَيَرَاهُمْ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانُوا فِيهِ، ثُمَّ يُخَبِّرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُولَئِكَ الْمُتَنَاجِينَ بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، إِنَّ اللَّهَ ذُو عِلْمٍ

بَالِغٍ تَامٍّ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ الْكَامِلُ بِأَقْوَالِ خَلْقِهِ وَأَفْعَالِهِمْ،
وَضُمَائِرِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ

أَلَمْ تَنْظُرْ - يَا مُحَمَّدُ - إِلَى الَّذِينَ نَهَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِسْرَارِ
الْحَدِيثِ فِيمَا بَيْنَهُم بِالشَّرِّ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
التَّنَاجِيِ بِالشَّرِّ، وَيُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمُخَالَفَتِهِ؟ وَإِذَا جَاءَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ - يَا مُحَمَّدُ - حَيَّوْكَ بِغَيْرِ السَّلَامِ
الَّذِي حَيَّاكَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَقُولُونَ سِرًّا: هَلَّا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ فَيُعْجِلَ
لَنَا الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا؛ بِسَبَبِ مَا نَقُولُهُ لِمُحَمَّدٍ؟ يَكْفِي هَؤُلَاءِ عِقَابًا
لَهُمْ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ: جَهَنَّمُ، يَدْخُلُونَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَيُقَاسُونَ
عَذَابَهَا، فَيَنْسِ الْمَرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ جَهَنَّمَ!

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَحَدَّثْتُمْ سِرًّا فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَلَا تَتَحَدَّثُوا
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمُخَالَفَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَتَسَارُّوا الْحَدِيثَ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَاجْتِنَابِ
الْمَحْرَمَاتِ، وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ وَقَايَةً بِامْتِنَالِ
أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ فَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُجْمَعُونَ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى
أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ

إِنَّمَا الْمُنَاجَاةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لِلْمُتَنَاجِينَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يُوقَعَ الْحُزْنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ الشَّيْطَانُ
بِضَارٍّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ ضَرَرٍ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيهِمْ
شَرَّ أَعْدَائِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَّقُوا
بِهِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ: تَوَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ لِيَجْلِسَ
آخَرُونَ مَعَكُمْ، فَوَسَّعُوا لَهُمْ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يُوسِّعِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

في الدنيا والآخرة، وإذا قيل لكم: قوموا وانتهضوا من المجلس، فافعلوا ذلك، يرفع الله المؤمنين منكم والعلماء العاملين بعلمهم درجات عالية، والله ذو خبرة بالغة تامة، فلا تخفى عليه أعمال العباد ونياتهم

يا أيها المؤمنون إذا أردتم أن تساروا محمداً -صلى الله عليه وسلم- بكلام بينكم وبينه، فتصدقوا قبل ذلك، فتقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول خير لكم -أيها المؤمنون- من تركها، وأظهر لقلوبكم، فإن لم تجدوا صدقة تقدمونها قبل مناجاة الرسول، فلا حرج عليكم؛ لأن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم؛ فلا يشق عليهم

أخفتم الفقر بسبب تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول؟ فإذا لم تقدموا تلك الصدقات، وتاب الله عليكم من ترككم لها؛ فحافظوا على الصلوات الواجبة، بأركانها وشروطها وواجباتها، وأعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم إلى مستحقيها، وأطيعوا الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، والله ذو خبرة بجميع أعمالكم، فيعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليها

ألم تر -يا محمد- إلى المنافقين الذين تولوا اليهود الذين غضب الله عليهم، فينصحن لهم ويناصرونهم؟ ليس المنافقون في الحقيقة من أهل دينكم -أيها المؤمنون-، ولا هم أيضاً على ملة اليهود، وهم يحلفون للمؤمنين على الكذب في دعوى الإيمان، أو غير ذلك، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه!

هَيَّاَ اللهُ لِأَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ عَذَابًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا
سَيِّئَةً مُّتَكَرِّرَةً أَصْرُوا عَلَيْهَا، حَتَّى صَارَتْ دَيْدَنًا لَهُمْ وَطَبْعًا
وَجِبِلَةً

جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ حَلْفَهُمُ الْكَاذِبَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَايَةً لَهُمْ مِنْ كَشْفِ
أَمْرِهِمْ، وَافْتِضَاحِ نِفَاقِهِمْ، فَيَتَّقُونَ بِذَلِكَ الْقَتْلَ، وَيَدْفَعُونَ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذُرَارِيَّتِهِمْ، فَصَدُّوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ
الْحَقِّ، فَلَهُوَ لَاءُ الْمُنَافِقِينَ عَذَابٌ مُذِلٌّ لَهُمْ

لَنْ تُغْنِيَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بَأْيٍ وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ أَمْوَالُهُمْ، فَيَفْتَدُوا
بِهَا مِنَ عَذَابِ اللهِ، وَلَا أَوْلَادُهُمْ، فَيُنْقِذُوهُمْ مِنْهُ، أَوْلَئِكَ أَهْلُ النَّارِ
الْمُلَازِمُونَ لَهَا، هُمْ فِيهَا مَآكِثُونَ، وَمِنْهَا لَا يُخْرَجُونَ

يَوْمَ يَبْعَثُ اللهُ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً، فَيَحْلِفُونَ لِلَّهِ
كَذِبًا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مُهْتَدُونَ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي
الدُّنْيَا كَذِبًا! وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ فِي حَلْفِهِمْ بِاللَّهِ كَذِبًا عَلَى شَيْءٍ يُعْتَدُّ بِهِ
فَيَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى! أَلَا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْكَاذِبُونَ حَقًّا؛ فَقَدْ
بَلَّغُوا فِي الْكَذِبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْهُ غَيْرُهُمْ

غَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَتَمَلَّكَهُمْ وَاسْتَوْلَى عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى
غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللهِ، فَلَمْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَنْتَهُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ،
أَوْلَئِكَ أَتْبَاعُ الشَّيْطَانِ وَأَنْصَارُهُ وَجُنْدُهُ، أَلَا إِنَّ أَتْبَاعَ الشَّيْطَانِ
وَأَنْصَارَهُ وَجُنْدَهُ هُمُ الْهَالِكُونَ، الَّذِينَ خَسِرُوا دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ
وَأَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ وَيُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ مِنْ جَمَلَةِ أَهْلِ
الدَّلَّةِ الشَّدِيدَةِ

قَضَى اللهُ وَقَدَّرَ تَقْدِيرًا ثَابِتًا لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَتَبَدَّلُ بَأَنَّ لَهُ
وَلِرُسُلِهِ النَّصْرَ وَالْغَلْبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ،

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ فَلَا يُعْجِزُهُ الْإِنْتِصَارُ مِمَّنْ حَادَّهُ وَرُسُلُهُ، عَزِيزٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَهُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ

لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَجِدَ -يَا مُحَمَّدٌ- قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُحِبُّونَ وَيُؤَالُونَ مَنْ خَالَفَ وَعَادَى اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَحَادُّونَ آبَاءَ أَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ، أَوْ أَقَارِبَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ، أَوْلَئِكَ قَرَّرَ وَأَثَبَتِ
اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، فَلَا يَشْكُونَ وَلَا يَرْتَدُّونَ، وَقَوَّاهُمُ اللَّهُ
بَوَحْيِهِ، وَمَعُونَتِهِ وَنَصْرِهِ، وَمَدَدِهِ وَإِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ، وَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ
فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَهُمْ مَأْكُوثُونَ فِي تِلْكَ
الْجَنَّاتِ أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَا يَسَخُطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَرَضُوا هُمْ
عَنِ اللَّهِ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَإِدْخَالَ الْجَنَّاتِ، أَوْلَئِكَ
أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَنْصَارُهُ، وَجُنْدُهُ، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَأَنْصَارَهُ وَجُنْدَهُ:
هُمْ وَحْدَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمُ الْفَائِزُونَ الظَّافِرُونَ بِمَا طَلَبُوا

نَزَّهَ اللَّهُ عَنِ الْغُيُوبِ وَالتَّقَائِصِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَجَمِيعُ
مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ
عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي
مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ

هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَخْرَجَ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ
حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِأَوَّلِ جَمْعٍ لِلْيَهُودِ، وَإِجْلَاءٍ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَا
ظَنَنْتُمْ -يَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ- أَنْ يَخْرُجَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ
مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ، وَيَتْرَكُوا لَكُمْ أَمْوَالَهُمْ حِينَ حَاصَرْتُمْ حُصُونَهُمْ
الْمَنِيعَةَ، وَظَنَّ أَوْلَئِكَ الْيَهُودُ أَنَّ حُصُونَهُمْ سَتَحْمِيهِمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ،
فَتَتَعَذَّرُ هَزِيمَتُهُمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَخْطُرُ
بِبَالِهِمْ، وَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ وَالْهَلْعَ حِينَ حَاصَرَ هُمْ

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ الَّذِينَ جَعَلُوا
مَسَاكِنَهُمْ خِرَابًا بِأَيْدِيهِمْ، وَهُمْ مَن أَلْجَأُوا الْمُؤْمِنِينَ إِلَى تَخْرِيْبِهَا،
فَاتَّعَظُوا يَا أَصْحَابَ الْبَصَائِرِ وَالْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ
بِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ، وَتَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَن خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَخَالَفَ
رَسُولَهُ؛ فَإِنَّ فِي هَذَا مُعْتَبَرًا

ولولا أَنَّ اللَّهَ قَضَى وَقَدَّرَ عَلَى يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ إِخْرَاجَهُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ مَعَ جَلَائِهِمْ
فِي الدُّنْيَا عَذَابُ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ

إِنَّمَا اسْتَحَقَّ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ الْجَلَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابُ النَّارِ
فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَادَوْهُمَا، وَمَنْ يُخَالِفِ
اللَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَيُعَادِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ عِقَابًا شَدِيدًا

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ نَخْلَةٍ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- فِي حِصَارِكُمْ لِبَنِي
النَّضِيرِ، أَوْ تَرَكْتُمْ قَطْعَهَا، فَبَقِيَتْ قَائِمَةً عَلَى جُنُوعِهَا: إِنَّمَا هُوَ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا لَوْمَ عَلَيْكُمْ فِيهَا قَطْعْتُمْ أَوْ تَرَكْتُمْ، وَلِيُذِلَّ اللَّهُ
وَيُهَيِّئَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، بِمَا يَصْنَعُهُ
الْمُسْلِمُونَ فِي نَخْلِهِمْ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ رَدِّهِمْ وَاسْتِنْقَازِهِ مِنْهُمْ
وَالَّذِي رَدَّهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، فَمَا
حَرَكْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- مِنْ أَجْلِهِ خَيْلًا وَلَا إِبِلًا، وَلَا
قَطَعْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ مَسَافَةً؛ إِذْ كَانُوا قَرِيبِينَ مِنْكُمْ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَكُمْ
كَبِيرُ مَشَقَّةٍ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِهِمْ، وَلَكِنْ سَلَّطَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى
مَا فِي أَيْدِيهِمْ، كَمَا كَانَ يُسَلِّطُ رَسُولُهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ؛ فَالرَّسُولُ أَحَقُّ
بِهِ، وَالْأَمْرُ فِيهِ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ ذُو فَدْرَةٍ بِالْغَةِ تَامَّةٍ عَلَى فِعْلِ
كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ

الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ مُشْرِكِي الْقُرَى كَبْنِي
النَّضِيرِ وَغَيْرِهِمْ بِلَا قِتَالٍ؛ فَهُوَ اللَّهُ يَحْكُمُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ، وَلِرَسُولِهِ
مُحَمَّدٍ يَصْرِفُهُ وَيُقَسِّمُهُ، وَلِقَرَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ
تَحَرُّمٌ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، وَلِلْيَتَامَى الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ دُونَ سِنِّ
الْبُلُوغِ، وَلِأَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ، وَلِلْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ الْمُنْقَطِعِ
الْمُحْتَاجِ لِلْمَالِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. أَمَرْنَا بِصَرْفِ مَالِ الْفَيِّءِ
فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ السَّابِقَةِ؛ كَيْ لَا يَكُونَ مَالُ الْفَيِّءِ خَاصًّا
لِلْأَغْنِيَاءِ يَتَدَاوَلُونَهُ بَيْنَهُمْ دُونَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ. وَمَا أَعْطَاكُمْ
رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَمْوَالِ الْفَيِّءِ أَوْ شَرَعَهُ لَكُمْ مِنْ شَرَعٍ، فَخُذُوهُ، وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَانْتَهُوا عَنْهُ، وَمَنْ ذَلِكَ أَخَذَ الْغُلُولَ، وَخَافُوا اللَّهَ
وَاحْذَرُوا سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ، بِفِعْلٍ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ عِقَابِهِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ

لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ
مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ: نَصِيبٌ مِنَ الْفَيِّءِ، وَهُمْ يَطْلُبُونَ رِزْقًا مِنَ اللَّهِ يَأْتِيهِمْ،
وَرِضًا مِنْهُ يَحُلُّ عَلَيْهِمْ حِينَ خَرَجُوا إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ،
وَيَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ حَقًّا فِي إِيْمَانِهِمْ

وَالصَّحَابَةُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ سَكَنُوا مَدِينَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَبْلِ هَجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ
إِلَيْهِمْ- يُجِبُونَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُ أُولَئِكَ الْأَنْصَارُ فِي
صُدُورِهِمْ أَيْ حَسَدًا مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ فَيِّءٍ
بَنِي النَّضِيرِ، وَيَتَصَدَّقُ الْأَنْصَارُ بِأَمْوَالِهِمْ وَطَعَامِهِمْ؛ إِيْثَارًا
لِلْمُحْتَاجِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ بِهِمْ فَقْرٌ وَحَاجَةٌ شَدِيدَةٌ

لذلك، وَمَنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّصِ النَّفْسِ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ،
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ الظَّافِرُونَ

والمؤمنون الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار
يقولون: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا فِي دِينِ اللَّهِ، الَّذِينَ تَقَدَّمُوا فِي
الْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا شَيْئًا مِنَ الْبُغْضِ أَوْ الْحَقْدِ أَوْ
الْحَسَدِ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ، رَبَّنَا إِنَّكَ ذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ تَامَّةٍ
بِالْغَةِ؛ فَحَقِيقٌ أَنْ تُجِيبَ دُعَاءَنَا

أَلَمْ يَنْتَهَ عِلْمُكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لِإِخْوَانِهِمْ فِي الْكُفْرِ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ: نَقَسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ أَخْرَجَكَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِيَارِكُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَنْ نُطِيعَ فِي
شَأْنِكُمْ مُحَمَّدًا وَلَا غَيْرَهُ مِمَّنْ يَسْأَلُنَا خِذْلَانُكُمْ، وَتَرَكْ نُصْرَتَكُمْ،
وَلَئِنْ قَاتَلَكُمُ مُحَمَّدٌ وَمَنْ مَعَهُ لَنَنْصُرَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ، فَتُعِينُكُمْ عَلَى
قِتَالِهِمْ؟! وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِيمَا وَعَدُوا بِهِ
يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ

لَئِنْ أَخْرَجَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ لَا يَخْرُجُ مَعَهُمْ
أُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمْ الْخُرُوجَ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا
يَنْصُرُهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَلَا يُفَاتِلُونَ مَعَهُمْ كَمَا وَعَدُوهُمْ، وَلَئِنْ
نَصَرَهُمُ الْمُنَافِقُونَ -عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ- فَقَاتَلُوا مَعَهُمْ
عَدُوَّهُمْ، لَفَرَّ الْمُنَافِقُونَ وَهَرَبُوا مُنْهَرِمِينَ، ثُمَّ لَا يُنْصَرُ الْكَفَّارُ مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ

إِنَّ الْخَوْفَ الْكَامِنَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَشَدُّ
مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ قَدْرَ عَظَمَةِ اللَّهِ،
وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ؛ فَيُذِرُكُوا أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُخْشَى

لَا يُقَاتِلُكُمُ الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودُ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- وَهُمْ
 مُجْتَمِعُونَ، إِلَّا فِي مِثْلٍ أَمْنَةٍ مُمَنَّعَةٍ بِالْحُصُونِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ
 جُدُرَانٍ وَأَسْوَارٍ وَحِيطَانٍ، فَلَا يَبْرُزُونَ لِقِتَالِكُمْ؛ مِنْ شِدَّةِ جُبْنِهِمْ،
 وَخَوْفِهِمْ مِنْكُمْ. وَعَدَاوَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَدَاوَةٌ شَدِيدَةٌ، تَظُنُّ أَنَّهُمْ
 مُجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ قُلُوبَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ وَفِي
 غَايَةِ التَّفَرُّقِ، ذَلِكَ التَّفَرُّقُ وَالْاِخْتِلَافُ وَتِلْكَ الْمَعَادَاةُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ
 قَوْمٌ لَا عَقْلَ لَهُمْ؛ فَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ عَقُولٌ لَعَرَفُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوهُ
 وَلَكَانَتْ كَلِمَتُهُمْ مُجْتَمِعَةً، وَقُلُوبُهُمْ مُؤْتَلِفَةً

مِثْلُ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ كَمِثْلِ يَهُودِ بَنِي قَيْنِقَاعَ الَّذِينَ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ
 بِالْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَمِثْلِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ هُزِمُوا فِي بَدْرٍ،
 وَذَلِكَ قَبْلَ وَقُوعِ جَلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ بِزَمَنِ يَسِيرٍ، نَالُوا جَزَاءَ
 كُفْرِهِمْ، فَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ الْإِيلَامِ فِي
 الْآخِرَةِ

مِثْلُ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ الْخُرُوجَ
 مَعَهُمْ إِنْ أُخْرِجُوا، وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ إِنْ قُوتِلُوا، ثُمَّ خَدَّلُوهُمْ، فَمَا مِنْ
 شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَعَلُوا، وَمِثْلُ الْيَهُودِ فِي اغْتِرَارِهِمْ بِهِمْ- كَمِثْلِ
 الشَّيْطَانِ حِينَ سَوَّلَ لِلْإِنْسَانِ الْكُفْرَ بِالرَّحْمَنِ، وَزَيَّنَهُ لَهُ، وَوَعَدَهُ
 وَعَدًا حَسَنًا بِالنَّصْرِ أَوْ نَحْوِهِ، فَلَمَّا كَفَرَ الْإِنْسَانُ بِاللَّهِ؛ اتَّبَاعًا
 لِلشَّيْطَانِ، وَقَبُولًا لَتَرْبِيئِهِ، وَاغْتِرَارًا بِوَعْدِهِ- تَبَرَّأَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ
 وَخَذَلَهُ! وَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ الَّذِي أَوْجَدَ جَمِيعَ
 الْخَلَائِقِ، وَرَبَّاهُمْ بِنِعَمِهِ، وَلَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكَ!
 فَكَانَ آخِرَ أَمْرِ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ وَالْإِنْسَانِ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ مَاكِثَيْنِ
 فِيهَا أَبَدًا، وَالْعَاقِبَةُ السَّيِّئَةُ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ هِيَ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ ظَلَمَ
 نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، خَافُوا اللَّهَ وَاحذَرُوا سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ
الدُّنْيَوِيَّ وَالْآخِرَوِيَّ، بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَلِيَتِمَّلَ
كُلُّ أَحَدٍ فِيمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَعْمَالٍ لِآخِرَتِهِ، وَلِيَحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ
يُحَاسِبَهُ رَبُّهُ! وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ وَقَايَةً، إِنَّ
اللَّهَ ذُو خُبْرَةٍ بِالْغَةِ تَامَّةٍ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ؛ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا،
وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَطَاعَتِهِ؛
فَأَنسَاهُمْ اللَّهُ أَنْفُسَهُمْ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ، فَلَمْ يَقْدِمُوا لَهَا خَيْرًا يَنْفَعُهَا، أَوْ
أَمْرًا يُصْلِحُهَا، فَضَيَّعُوهَا، أَوْلَيْتُمْ هُمْ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
إِلَى مَعْصِيَتِهِ

لَا يَسْتَوِي أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْفَضْلِ وَالرُّتْبَةِ وَالْجَزَاءِ
عِنْدَ اللَّهِ، أَهْلُ الْجَنَّةِ هُمْ وَحْدَهُم النَّاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ، الظَّافِرُونَ
بِالنَّوَابِ

لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى أَيِّ جَبَلٍ، فَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ وَفَهِمَهُ؛
لَرَأَيْتَهُ فِي حَالِ خُضُوعٍ وَذُلٍّ، وَفِي غَايَةِ التَّسَقُّقِ؛ لَشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى، رَغَمَ قَسَاوَتِهِ وَصَلَابَتِهِ؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِ تَأْثِيرِ مَعَانِي
الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ فِي الْقُرْآنِ نَذَرُهَا
لِلنَّاسِ؛ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَتَعَظُونَ
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، الْعَالِمُ بِكُلِّ
شَيْءٍ، سِوَاءٍ مَا يَغِيبُ عَنْ خَلْقِهِ، أَوْ مَا يُشَاهِدُونَهُ، هُوَ اللَّهُ ذُو
الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ. الْمَوْصِلُ
رَحْمَتَهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، الْمَلِكُ
الْحَقُّ، الْمَالِكُ لَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الْكَامِلُ التَّصَرُّفِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ
بِمَا يَشَاءُ، الْمُتَّصِفُ بِالطُّهْرِ التَّامِّ، وَالتَّزَاهَةِ بِالْبَالِغَةِ، الْمُتَّصِفُ

بِالسَّلَامَةِ الثَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَذَى وَسُوءٍ، فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الَّذِي يَصْدُقُ رُسُلُهُ بِالْآيَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَالْكَافِرِينَ مَا أَوْعَدَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ، الشَّاهِدُ الْحَافِظُ الرَّقِيبُ عَلَى خَلْقِهِ، الْقَانِمُ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، بَاطِلَاعُهُ وَاسْتِيْلَائُهُ وَحِفْظُهُ، الْمُتَّصِفُ بِالْعِزَّةِ الثَّامَّةِ: الَّذِي قَدْ عَظُمَ قَدْرُهُ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ النَّقْصُ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، وَغَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يُغْلَبُ سُبْحَانَهُ، الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ -الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ الْعِبَادِ-، الْمُصْلِحُ أُمُورَ خَلْقِهِ، وَالَّذِي يُصَرِّفُهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، الْمُتَعَظِّمُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْمُتَعَالِي وَالْمُتَرَفِّعُ عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِغَيْرِهِ، تَنَزَّاهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَسُوءٍ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ

هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، الَّذِي تَقَرَّرَ بِتَقْدِيرٍ وَإِنْشَاءٍ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، الَّذِي أَحْيَا وَأَوْجَدَ مِنَ الْعَدَمِ عَلَى مُفْتَضَى مَا خَلَقَ وَقَدَّرَ، الَّذِي يُصَوِّرُ وَيُشَكِّلُ كُلَّ مَخْلُوقٍ عَلَى الصِّفَةِ وَاللَّوْنِ وَالصُّورَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا سُبْحَانَهُ، اللَّهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْكَثِيرَةُ الْكَامِلَةُ فِي حُسْنِهَا، وَالذَّالَّةُ عَلَى صِفَاتِ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، يُنَزَّاهُ اللَّهُ وَحْدَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا خَلَقَهُ وَشَرَعَهُ وَقَدَّرَهُ؛ فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اعْمَلُوا بِمُقْتَضَى إِيْمَانِكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِ أَنْصَارًا وَأَخْلَاءَ، تُبَادِرُونَ إِلَى مَوَدَّتِهِمْ وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ إِيصَالُ أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَالتَّصَحُّحُ لَهُمْ! وَالْحَالُ أَنَّ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ

نُهِيتُمْ عَنْ اتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ: قَدْ كَفَرُوا بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُمْ يُخْرِجُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيُخْرِجُونَكُمْ أَيْضًا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنْ دِيَارِكُمْ؛ بِسَبَبِ إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَحَدِّهِ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، وَرَبَّائِكُمْ بِنِعْمَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ!

لَا تَتَّخِذُوا الْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ إِنْ كُنْتُمْ هَاجَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنْ أوطَانِكُمْ بِقَصْدِ الْجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَيْلِ رِضْوَانِهِ، تَتَوَدَّدُونَ إِلَيْهِمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِمَنَاصِحَتِهِمْ فِي السِّرِّ، وَالحَالِ أَتَى أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بِالَّذِي أَضْمَرْتُمُوهُ وَالَّذِي أَظْهَرْتُمُوهُ، فَكَيْفَ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟! وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فَقَدْ حَادَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَخْطَأَ الصَّوَابَ

إِنْ يَظْفَرُ بِكُمْ الْكَفَّارُ الَّذِينَ تَوَادُّوهُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- يُظْهِرُوا لَكُمْ الْعَدَاوَةَ؛ فَلَا تَتَّخِذُوا أَنْ فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ مَنَفْعَةً لَكُمْ، وَلَوْ ظَفَرُوا بِكُمْ لَبَسَطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بِفِعْلِ يُؤْذِيكُمْ، وَالسِّنَنُ لَهُمْ بِكَلَامٍ يَسُوؤُكُمْ، وَتَمَنَّوْا وَأَحْبَبُوا لَكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا بِرَبِّكُمْ، فَتَكُونُوا عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ!

لَا تَحْمِلَنَّكُمْ قَرَابَاتُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمَوَالَاةِ أَعْدَائِهِ فَلَنْ يَنْفَعُوكُمْ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَفْصِلُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ الْكَافِرِينَ وَالْعَصَاةَ النَّارَ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- قُدُوةٌ صَالِحَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ: إِنَّا نَنْتَبِرُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ تَبَرُّوْا عَظِيمًا، أَنْكَرْنَا مَا أَنْتُمْ

عليه من الكفر، وَجَدْنَا أَنْ تَكُونَ الْهَتَكُمْ حَقًّا، وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 الْمُعَادَاةُ وَالْكِرَاهِيَةُ الدَّائِمَةُ مَا دُمْتُمْ مُسْتَمِرِّينَ عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ
 تَعَالَى إِلَى أَنْ تُؤْمِنُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، فَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
 فَحِينَئِذٍ تَزُولُ الْبَغْضَاءُ وَالْعَدَاوَةُ، وَتَنْقَلِبُ مَوَدَّةً وَوَلَايَةً. لَا تَتَأَسَّوْا
 -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ الْمُشْرِكِ: لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ اللَّهُ؛
 إِذْ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي قُرْبَى،
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: وَالْحَالُ أَتَيْ لَا أَدْفَعُ عَنْكَ عِقُوبَةَ اللَّهِ إِنْ
 عَاقَبَكَ عَلَى كُفْرِكَ بِهِ، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَنْفَعَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِشَيْءٍ. وَقَالَ
 إِبْرَاهِيمُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: رَبَّنَا عَلَيْكَ وَحْدَكَ تَوَكَّلْنَا،
 فَفَوَّضْنَا جَمِيعَ أُمُورِنَا إِلَيْكَ، وَاعْتَمَدْنَا عَلَيْكَ فِي إِصْلَاحِ أُمُورِنَا،
 وَدَفَعِ مَا يَضُرُّنَا، وَإِلَيْكَ وَحْدَكَ رَجَعْنَا بِالتَّوْبَةِ مِمَّا تَكَرَّرَ مِنْ
 مَعْصِيَتِكَ إِلَى مَا تُحِبُّ مِنْ طَاعَتِكَ، وَإِلَيْكَ وَحْدَكَ -يَا رَبَّنَا-
 مَرْجِعُنَا فِي الْآخِرَةِ

يَا رَبَّنَا لَا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا، فَيَقْتَتِلُونَا، وَيَمْنَعُونَا مِمَّا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ
 مِنْ أُمُورِ الْإِيمَانِ، وَيُمِيلُونَا عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَيُفْتِنُونَ
 أَيْضًا بِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا لَهُمُ الْغَلْبَةَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ
 وَأَنَّا عَلَى الْبَاطِلِ، فَازْدَادُوا كُفْرًا وَطُغْيَانًا، وَامْحُ عَنَّا ذُنُوبَنَا؛
 وَاسْتُرْهَا وَأَزِلْ آثَارَهَا، وَقِنَا وَكْفِنَا شَرَّهَا، إِنَّكَ أَنْتَ -يَا رَبَّنَا-
 الْعَزِيزُ الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي
 مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ
 مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَيَرْجُو
 النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يُعْرِضُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
 وَالتَّاسِّيِ بِرُسُلِهِ، فَيُؤَالِ أَعْدَاءَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو الْغَنَى النَّامِ الْمُطْلَقِ

عن كُلِّ أَحَدٍ؛ فليس به حاجةٌ إلى إيمانه وطاعته، وهو المحمودُ في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله وأقواله؛ فلا يضرُّه كُفْرُ أَحَدٍ وعصيانُه

عسى الله أن يجعلَ بينكم -أيُّها المؤمنون- وبينَ الذين عاديتم من المشركين مودةً، وذلك بأنَّ ينتقلوا للإيمان؛ فلا تأسوا من إيمانهم، والله ذو قُدرةٍ تامَّةٍ بالغَةِ على كُلِّ شيءٍ، ومن ذلك قُدْرَتُه على أن يهديهم للإيمان، ويؤلِّفَ بين قلوبكم، والله غفورٌ لذُنُوبِ عباده؛ فيسُِّرْها ويمحوها ويقي شرَّها، رحيمٌ بهم؛ فيغفرُ للكافرينَ كُفْرَهم إذا تابوا، ويرحمهم

لا ينهاكم الله -أيُّها المؤمنون- عن الكافرينَ الذين لم يُقاتِلوكم من أجلِ دينكم؛ من أقاربكم وغيرهم من الكفار، ولم يُخرجوكم من بلادكم كما أخرجكم كفَّارُ مَكَّةَ؛ أن تُحسنوا إليهم وتُكرمُوهم، وتُعدِّلوا في تعاملكم معهم عدلاً تامًّا، إنَّ الله يُحبُّ المُنصفينَ الذين يُنصفون النَّاسَ، ويُعطونهم الحقَّ، ويحكمونَ بينهم بالعدلِ النَّامِ

إنَّما ينهاكم الله -أيُّها المؤمنون- عن الكافرينَ المحاربينَ الذين ناصبوكم العداوةَ، فقاتِلوكم بسببِ إيمانكم برَبِّكم، وأُخرجوكم من بلادكم، وعاونوا غيرهم على إخراجكم أن تتولَّوهم، فتكونوا لهم محييينَ مُناصرينَ، ومن يتَّخذِ الكافرينَ أولياءَ يُحبُّهم ويُناصرهم، فأولئك هم الظَّالمونَ الذين وَضَعُوا المُوالاةَ في غير مَوَضعِها، وعَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لعذابِ اللهِ تعالى يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءكم النِّساءُ المؤمناتُ مهاجراتٍ من بلادِ الكُفْرِ إلى بلادِ الإسلامِ، فاخْتَبِرُوهُنَّ، اللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ إيمانِ أولئك المهاجراتِ، وما يُسرُّرُنه في قلوبهنَّ، فإن عَلِمْتُم بعدَ

اِخْتَبَارَهُنَّ أَتَهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ، فَلَا تَرُدُّوهنَّ إِلَى الْكُفَّارِ، لَيْسَتْ
 الْمُؤْمِنَاتُ بِمُبَاحَاتٍ لِلْكَافِرِينَ بِالنِّكَاحِ، وَلَا الْكُفَّارُ بِجَمِيعِ مِلَلِهِمْ
 يَجْلُونَ لِلْمُؤْمِنَاتِ بِالنِّكَاحِ، وَأَعْطُوا مَنْ كَانُوا أَزْوَاجًا لِلَّاتِي
 أَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ إِلَيْكُمْ، مَا دَفَعُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ مُهُورٍ، وَلَا إِنْهُمْ عَلَيْكُمْ
 -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تَنْزَوَّجُوا الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ إِلَيْكُمْ بَعْدَ
 انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ، بِشَرْطِ إِعْطَائِهِنَّ مُهُورَهُنَّ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ مِنْكُمْ
 -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- زَوْجَةٌ مُشْرِكَةٌ فَلْيُطَلِّقْهَا، وَطَالِبُوا -أَيُّهَا
 الْمُؤْمِنُونَ- بِمَا دَفَعْتُمْ مِنَ الْمُهْوَِرِ إِلَى أَزْوَاجِكُمُ اللَّاتِي
 فَارَقْتُمُوهُنَّ لِكُفْرِهِنَّ، وَلْيُطَالِبِ الْمُشْرِكُونَ بِمَا دَفَعُوا مِنَ الْمُهْوَِرِ
 إِلَى أَزْوَاجِهِمُ الْمُؤْمِنَاتِ اللَّاتِي هَاجَرْنَ إِلَيْكُمْ. ذَلِكَمُ الْحُكْمُ
 الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ: هُوَ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَقْضِيهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ
 بِالْعَدْلِ النَّامِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِمْ بِمَا
 يَشْرَعُهُ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ
 وَإِنْ فَرَّ بَعْضُ أَزْوَاجِكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِلَى الْكُفَّارِ وَلَمْ
 يُعْطَوْكُمْ مُهُورَهُنَّ، فَعَاقِبْتُمْ؛ فَأَعْطُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فَرَّتْ
 أَزْوَاجُهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ مَا دَفَعُوهُ إِلَيْهِنَّ مِنْ مُهُورٍ، وَخَافُوا اللَّهَ الَّذِي
 آمَنْتُمْ بِهِ وَاحْذَرُوا سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ، فَإِيْمَانَكُمْ بِهِ يَقْتَضِي تَقْوَاهُ
 بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَلَّا يَعْبُدْنَ أَحَدًا
 غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَأْخُذْنَ مَالَ أَحَدٍ خُفِيَّةً بَغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَلَا
 يَقَعْنَ فِي الرِّزَا، وَلَا يَقْتُلْنَ أَبْنَاءَهُنَّ وَبَنَاتِهِنَّ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ أَوْ
 غَيْرِهِ، وَلَا يُلْحِقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ أَوْلَادًا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ -
 يَا مُحَمَّدٌ- فِيمَا تَأْمُرُهُنَّ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ-
 فَبَايِعُهُنَّ عَلَى الْوَفَاءِ بِتِلْكَ الشُّرُوطِ، وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ

لِلْمُؤْمِنَاتِ الْمُبَايَعَاتِ ذُنُوبَهُنَّ وَتَقْصِيرَهُنَّ، إِنَّ اللَّهَ بِالْعُ الْمَغْفِرَةِ
لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، بِالْعُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا الْكَافِرِينَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَتَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ لَكُمْ، قَدْ يَبْسُوْا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ
وَرَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ مِنْ
ثَوَابِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ

نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّقَائِصِ وَالْغُيُوبِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ،
الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَهُ وَشَرَعَهُ وَقَدَّرَهُ فِي
مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ الْقَوْلَ الَّذِي لَا تُصَدِّقُونَهُ بِالْعَمَلِ؛
فَتَكُونُ أَعْمَالُكُمْ مُخَالِفَةً لِأَقْوَالِكُمْ؟!

عَظُمَ وَاشْتَدَّ بُعْضًا عِنْدَ اللَّهِ قَوْلُكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- شَيْئًا، ثُمَّ
لَا تَفْعَلُونَهُ!

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ دِينِهِ
حَالِ كَوْنِهِمْ مُنْتَظَمِينَ فِي صَفِّ الْقِتَالِ كَأَنَّهُمْ فِي اصْطِفَائِهِمْ لِلْقِتَالِ
-مِنْ شِدَّةِ التَّرَاصُّ وَالْمُسَاوَاةِ وَالثَّبَاتِ- بِنَاءً وَاجِدٌ عَظِيمُ
الِاتِّصَالِ، شَدِيدُ الْاسْتِحْكَامِ، لَاصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، بِلَا فُرْجَةٍ وَلَا
خَلَلٍ!

وَادْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: يَا
قَوْمَ، لِمَ تَوصلُونَ إِلَى الْأَذَى، وَالْحَالُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينِيًّا
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَعْظِيمِي وَالْإِنْفِيَادُ
لِأَمْرِي؟! فَلَمَّا مَالَ قَوْمُ مُوسَى عَنِ الْحَقِّ عَمَدًا مِنْهُمْ، أَمَالَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى زَيْغِهِمْ عَنِ

الْحَقِّ، مع تَعَمُّدِهِمْ وَعِلْمِهِمْ بِهِ، وَاللَّهُ لَا يُوقِفُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ الْقَوْمَ
الَّذِينَ أَثَرُوا الْخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَأَصَرُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ
وَإِذْكَرُ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ أُرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ؛ لِأَدْعَوْكُمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ
الشَّرِّ، مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ مِنْ قَبْلُ عَلَى مُوسَى، وَمُبَشِّرًا
لَكُمْ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ
الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ الْمَعَانِدُونَ الْكَافِرُونَ: هَذَا الَّذِي
جَاءَنَا بِهِ سِحْرٌ ظَاهِرٌ

وَلَا أَحَدٌ أَشَدُّ ظُلْمًا مِمَّنْ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَالْحَالُ أَنَّهُ
يُدْعَى إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ! وَاللَّهُ لَا يُوقِفُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ
الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ اخْتَلَقُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ،
وَأَصَرُوا عَلَى رَدِّ الْحَقِّ مَعَ وُضُوهِهِ
يُرِيدُ الْكَافِرُونَ أَنْ يُبْطِلُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بِمَا يَتَفَوَّهُونَ بِهِ مِنْ أَكَاذِيبٍ وَافْتِرَاءَاتٍ
لَا بُرْهَانَ عَلَيْهَا! وَاللَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِإِتْمَامِ الْحَقِّ، وَإِشَاعَةِ نُورِهِ فِي
الْآفَاقِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ

اللَّهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعِلْمِ
النَّافِعِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ، وَبَعَثَهُ
بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ النَّافِعَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ؛ لِيُعْلِيَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِالْغَلْبَةِ وَالنَّصْرِ وَالسِّيَادَةِ
وَالسُّلْطَانِ، وَيُعْلِيَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أُرِشِدُكُمْ إِلَى تِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ نَافِعَةٍ،
تُخَلِّصُكُمْ مِنْ عَذَابٍ مُؤَلِّمٍ مُوجِعٍ؟

تلك التِّجَارَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْمَانًا تَامًا مُسْتَلِزِمًا لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَنْ تُجَاهِدُوا أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ بِبَذْلِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَنَصْرِ دِينِهِ، ذَلِكَ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

إِنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهَدْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمْحُو عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَسْتَرْهَا وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُؤَاخَذَتِكُمْ بِهَا، وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، وَيُدْخِلُكُمْ مَنَازِلَ جَمَعَتْ كُلُّ طَيْبٍ فِي بَنَائِهَا وَسَعَتِهَا وَعُلُوهَا وَبِهَجَةِ مَنَازِلِهَا وَدَوَامِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فِي جَنَّاتٍ إِقَامَةٌ دَائِمَةٌ؛ فَلَا خُرُوجَ مِنْهَا، وَلَا انْتِقَالَ عَنْهَا، ذَلِكَ الْأَجْرُ وَالنَّوَابُ الْجَزِيلُ هُوَ وَحْدَهُ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ بِالْخَيْرِ، وَحُصُولُ النِّجَاحِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الشَّرِّ وَلَكُمْ فِي الْجِهَادِ خَصْلَةٌ أُخْرَى مُحَبُّبَةٌ إِلَيْكُمْ، تَطْفَرُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ حُصُولُ نَصْرِ اللَّهِ لَكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَحُصُولُ فَتْحٍ عَاجِلٍ تَنْتَسِعُ بِهِ بِلَادُ الْإِسْلَامِ، وَيَحْصُلُ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ، وَبَشِيرٌ -يَا مُحَمَّدُ- الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَزَاءِ وَالنَّوَابِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ، بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَنَصْرِهِ، كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَخُلُوصِ أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَخَاصَّتِهِمْ: مَنْ يُعِينُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَنُصْرَتِهِ؟ فَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ أَعْوَانُكَ عَلَى إِقَامَةِ وَنَصْرِ مَا أَرْسَلَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَأَمَنْتَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبُيُوتَةِ عِيسَى وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَكَفَرْتَ بِهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى فَافْتَرَوْا

عليه كَذِبًا، فَقَوَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَدُوِّهِمْ مِنَ
الكَافِرِينَ، فَأَصْبَحُوا عَلَّيْنَ غَالِبِينَ

يُنْزَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ جَمِيعُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ، فَهُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ، الْمَالِكُ لَجَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ، الْكَامِلُ التَّصَرُّفِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، الْمُتَّصِفُ
بِالطُّهْرِ التَّامِّ وَالنَّزَاهَةِ الْبَالِغَةِ، الْعَزِيزُ الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ،
الْحَكِيمُ فِيمَا خَلَقَ وَشَرَعَ وَقَدَّرَ

اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي الْعَرَبِ رَسُولًا أَمِيًّا مِنْ جَمَلَةِ الْعَرَبِ،
وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي
أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، مَعَ كَوْنِهِ أَمِيًّا مِثْلَهُمْ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ
الرَّذِيلَةِ وَالْعَقَائِدِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَيُنَمِّيهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، وَقَدْ كَانَ
الْعَرَبُ الْأُمِّيُّونَ مِنْ قَبْلِ إِسْرَائِلَ مُحَمَّدٍ إِلَيْهِمْ، وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ
عَلَيْهِمْ: فِي انْحِرَافٍ ظَاهِرٍ عَنِ الْحَقِّ

وَبَعَثَ اللَّهُ الرَّسُولَ فِي آخَرِينَ مِنْهُمْ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ، وَاللَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الَّذِي يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ
فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ

ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ تَفَضَّلَ بِهِ، وَاللَّهُ يُعْطِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ
وَالْمَنْ وَالْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ

مِثْلُ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَلَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ، ثُمَّ
لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ الَّذِي أَمَرُوا فِي التَّوْرَةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ
وَاتِّبَاعِهِ: كَمِثْلِ الْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ كُنْبًا لَا يَعْقِلُ مَا
فِيهَا، وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا تَحْوِيهِ! بَشَرٌ هَذَا الْمِثْلُ الْمَضْرُوبُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِ. وَاللَّهُ لَا يُؤَقِّقُ لِاتِّبَاعِ
الْحَقِّ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِالْكَفْرِ، وَأَصْرُوا عَلَى إِنْكَارِ
الْحَقِّ مَعَ وُضُوحِهِ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لأُولئِكَ الْيَهُودُ: يَا مَنْ تَدَيَّنُوا بِالْيَهُودِيَّةِ، إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّكُمْ أَحِبَابُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ
يُكْرِمُ أَحِبَّابَهُ وَلَا يُعَذِّبُهُمْ، فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ لِتُسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ
الدُّنْيَا وَهَمومِهَا، وَتَنْتَقِلُوا إِلَى الْجَنَانِ وَنَعِيمِهَا!

وَلَا يَتِمَّتْ لِلْيَهُودِ الْمَوْتُ أَبَدًا؛ بِسَبَبِ مَا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا
مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَتَحْرِيفِ الْحَقِّ، وَاقْتِرَافِ الْمَعَاصِي، وَاللَّهُ
ذُو عِلْمٍ بِالْبَإِغِ تَامٍ بِمَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي مِنَ الْيَهُودِ
وغيرِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَسُيُجَازِيهِمْ عَلَى
أَعْمَالِهِمْ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لأُولئِكَ الْيَهُودُ: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَهْرُبُونَ مِنْهُ
فَتَكْرَهُونَهُ وَتَأْبُونَ تَمَنِّيَهُ: لَا بَدَّ أَنْ يُدْرِكَكُمْ وَيَنْزِلَ بِكُمْ، ثُمَّ
تُرْجَعُونَ -أَيُّهَا الْيَهُودُ- بَعْدَ مَوْتِكُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ،
سِوَاءِ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ، أَوْ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ لَهُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيُخَبِّرُكُمْ اللَّهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي
الدُّنْيَا، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ دَاعِيًا إِلَى الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ -وذلكَ عِنْدَ قُعُودِ الْإِمَامِ عَلَى الْمِنْبَرِ لِلخُطْبَةِ-؛ فامضُوا
إِلَى خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَصَلَاتِهَا مُبَادِرِينَ مُهْتَمِينَ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ،
فَالسَّعْيَ إِلَى الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ، وَاطْلُبُوا
مِنْ رِزْقِ اللَّهِ إِنْ شِئْتُمْ؛ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، وَادْكُرُوا اللَّهَ
ذِكْرًا كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَتَفَرَّقُونَ بِمَا تَطْلُبُونَهُ مِنَ
الْخَيْرِ، وَتَنْجُونَ مِمَّا تَرْهَبُونَ

وَإِذَا رَأَى بَعْضُ أَصْحَابِكَ -يَا مُحَمَّد- تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا وَقَتَ
خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ انصَرَفُوا إِلَى تِلْكَ التِّجَارَةِ مُسْرِعِينَ، وَتَرَكَوكَ -
يَا مُحَمَّد- قَائِمًا عَلَى الْمَنْبَرِ تَخْطُبُ، قُلْ -يَا مُحَمَّد- لِأَوْلَيْكَ
الْمُنْصَرِفِينَ إِلَى التِّجَارَةِ أَوْ اللَّهْوِ: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالتَّوَابِ
خَيْرٌ لِمَنْ يَسْمَعُ خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ، وَيَحْضُرُ صَلَاتَهَا، مِنْ لَذَّةِ اللَّهْوِ،
وَمِنْ رِبْحِ التِّجَارَةِ! وَاللَّهُ خَيْرُ مَنْ رَزَقَ وَأَعْطَى فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ؛ فَلَيْسَ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُقَوِّيًا لِلرِّزْقِ

إِذَا حَضَرَ عِنْدَكَ -يَا مُحَمَّد- الْمُنَافِقُونَ، قَالُوا عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ
وَالْجَزْمِ كَذِبًا بِالسِّيَرَةِ: نَشْهَدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَاللَّهُ
الَّذِي أَرْسَلَكَ -يَا مُحَمَّد- يَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ حَقًّا، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ الْإِيمَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ؛ فَهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ فِي قُلُوبِهِمْ

جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ حَلْفَهُمُ الْكَاذِبَ لِلْمُؤْمِنِينَ سِتْرًا وَوَقَايَةً لَهُمْ؛
فَيَسْتُرُونَ بِهِ نِفَاقَهُمْ، وَيَتَّقُونَ الْقَتْلَ أَوْ الْعُقُوبَةَ عَلَى كُفْرِهِمْ،
وَيَصُونُونَ أَنْفُسَهُمْ وَذَرَائِعَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَمَنْعُوا أَنْفُسَهُمْ وَمَنْ
اتَّبَعَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، بِئْسَ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ الْمُنَافِقُونَ!
الَّذِي سَبَّبَ جُرْأَتَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِاتِّخَاذِهِمْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً:
أَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ ثُمَّ تَرَكَوهُ، وَاسْتَبَدَّلُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَلَمْ
يَتَّبِعُوهُ؛ فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَصَارَتْ لَا تَعِي وَلَا تَهْتَدِي!

وَإِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ - يَا مُحَمَّدٌ - تُعْجِبُكَ أِبْدَانُهُمْ؛ لِحُسْنِ هَيْئَتِهِمْ، وَجَمَالِ صُورِهِمْ! وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا تُصْنَعُ لِكَلَامِهِمْ، وَتَسْتَمَعُ إِلَيْهِمْ؛ لِفَصَاحَتِهِمْ وَبِلَاغَتِهِمْ، وَحُسْنِ مَنَظِقِهِمْ، مَثَلُهُمْ كَأَخْشَابٍ قَدْ أُسْنَدَتْ إِلَى الْجُذُرِ، فَهِيَ تَنَالُ إِعْجَابَ نَاضِرِهَا، وَلَكِنَّهَا جَامِدَةٌ لَا ثِبَاتَ لَهَا وَلَا ثَمَرَةَ، وَلَا مَنفَعَةَ فِيهَا، وَهَكَذَا الْمُنَافِقُونَ مَجْرَدُ صُورٍ لَا رُوحَ فِيهَا، وَأَجْسَادٍ لَا عَقْلَ لَهَا، وَلَا فِقْهَ، وَلَا عِلْمًا! يَظُنُّ الْمُنَافِقُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ يَسْمَعُونَهَا - كِنْدَاءٍ مُنَادٍ أَوْ إِنْشَادٍ ضَالَّةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ - أَنَّهَا وَاقِعَةٌ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ يُرَادُونَ بِذَلِكَ؛ لِجُبْنِهِمْ، وَخَوَرِهِمْ، وَخَوْفِهِمْ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ! إِنْ الْمُنَافِقِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ فَاحْذَرْهُمْ - يَا مُحَمَّدٌ -، فَلَا تَتَّقِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَلَا تَغْتَرَّ بِصُورِهِمْ، وَلَا تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَسْتَوِدْ عَنْهُمْ أَسْرَارَكُمْ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُمْ، كَيْفَ يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ وَضُوحِ دَلَالَتِهِ؟!

وَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ لِلْمُنَافِقِينَ: تَعَالَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ لِيُطْلَبَ مِنْ اللَّهِ مَغْفِرَةُ ذُنُوبِكُمْ، أَمْالُوا رُؤُوسَهُمْ وَصَرَّفُوها إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى؛ امْتِنَاعًا مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتَهُمْ يُعْرِضُونَ؛ أَنْفَةً وَاسْتِكْبَارًا عَمَّا دُعُوا إِلَيْهِ

سِوَاءِ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ذُنُوبَهُمْ - يَا مُحَمَّدٌ - أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَنْ يَتْرَكَ مُعَاقِبَتَهُمْ عَلَيْهَا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُوقِفُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، الْمُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَمَعْصِيَتِهِ

الْمُنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ! وَلِلَّهِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي أَسْبَابِ حُصُولِ

الأرزاق بِمَشِيئَتِهِ؛ فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يُدْرِكُونَ ذَلِكَ

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ: لَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ بَلَدُنَا، لَيُخْرِجَنَّ الْأَقْوَى وَالْأَشَدُّ فِيهَا الضَّعِيفَ الْأَذَلَّ الَّذِي جَاءَ إِلَى مَدِينَتِنَا وَسَكَنَ فِيهَا! وَلِلَّهِ الْقُوَّةُ وَالْغَلْبَةُ وَالْمَنْعَةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَهُمْ الْأَذِلَّةُ الْمُهَانُونَ حَقًّا، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْغَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يَفْعَلُ الْمُنَافِقُونَ، وَمَنْ يُشْغَلْ بِأَمْوَالِهِ وَأَوْلَادِهِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ حَقًّا

وَتَصَدَّقُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، سِوَاءَ بِالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَالتَّحَقَّاتِ الْوَاجِبَةِ، أَوْ بِالصَّدَقَاتِ الْمُسْتَحَبَّةِ، أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِأَحَدِكُمْ أَسْبَابُ الْمَوْتِ، وَيُشَاهِدَ حُضُورَ عِلَامَاتِهِ، فَيَقُولَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ: يَا رَبِّ هَلَّا أَمَهَّلْتَنِي فَتُؤَخَّرَ مَوْتِي إِلَى وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَأَتَصَدَّقَ وَأَكُونَ مِنَ الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِكَ! وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ أَجَلَ أَيِّ أَحَدٍ، فَيَزِيدَ فِي عُمْرِهِ إِذَا حَضَرَ وَقْتُ مَوْتِهِ، وَاللَّهُ ذُو خُبْرَةٍ تَامَّةٍ بِالْغَيْهِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ؛ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، ظَاهِرُهَا وَبَاطِنُهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ يُنْزِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ مَخْلُوقَاتِهِ، لِلَّهِ وَحْدَهُ الْمُلْكُ التَّامُّ الْمُطْلَقُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ مُتَصَرِّفٌ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ دُونَ غَيْرِهِ لِلتَّشَاءِ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَا يَخْلُقُهُ وَيُقَدِّرُهُ وَيَحْكُمُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ ذُو قُدْرَةٍ تَامَّةٍ

شاملة على فعل ما يشاء، بلا مُمانعة ولا مُدافعة، لا يُعجزه شيءٌ
سُبْحَانَهُ

الله هو الَّذي أوجدكم من العدم -أيها الناس- فمنكم الكافرُ
الجادُّ، ومنكم المؤمنُ المصدقُ، والله بصيرٌ بجميع أعمالكم؛
خيرها وشرّها، يراها ويعلمها، لا يخفى عليه شيءٌ منها،
وسيجازيكم عليها

خلق الله السموات والأرض بالعدل والحكمة، ولم يخلقهما
باطلاً ولا عبثاً، وصوركم الله فأحسن أشكالكم، وتخطيط
خلقكم، فصرتُم ذوي شكلٍ جميلٍ، ومنظرٍ بهيٍّ، وإلى الله وحده
مرجعُ جميع عبادِهِ بعد موتِهِم

يَعْلَمُ الله جميع ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه
شيءٌ من خلقِهِ، ويعْلَمُ ما تُسرُّونه فيما بينكم من الأقوال
والأعمال، وما تُظهرونه منها، والله بالغُ العلم بما في قلوب
عبادِهِ من نياتٍ ومقاصد، وخبايا وأسرارٍ، لا يخفى عليه شيءٌ
من ذلك

ألم يأتكم خبرُ الكافرين من قبلكم، كفّوا نوح وعاد وثمودَ
وغيرهم؟ فذاق كفّارُ الأمم الماضية عقوبةَ كفرهم، فأهلكهم الله
في الدنيا، ولهم عذابٌ مؤلِّمٌ مُوجعٌ في الآخرة

ذلك الوبالُ في الدنيا والعذابُ في الآخرة لكفارِ الأمم
الماضية واقعٌ بسببِ أنَّهُ كانت تأتيهم رُسُلُهُم بالحجج والدلائل
الواضحة، فكذبوهم واستكبروا عن اتباعِهِم بدعوى أَنَّهُم بشرٌ
مثلهم، واستبعدوا أن يكونوا هُداةً لهم! فكفّروا بالله ورُسُلِهِ،
وأعرضوا عن اتباعِ الحقِّ، واستغنى الله عنهم وعن إيمانِهِم به
وبرُسُلِهِ؛ فليس له حاجةٌ إليهم، ولا يضرُّه سُبْحَانَهُ كفرُهم! والله

غني عن جميع خلقه، وهو محمود في أقواله وأفعاله وأوصافه،
ومحمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال، وهو أيضاً
حامد لمن يستحق الحمد من عباده

ادّعى الكفار كذباً أن الله لن يبعثهم بعد موتهم للحساب
والجزاء! قل -يا محمد- لهؤلاء المنكرين للبعث: بلى، أقسم
بربي لنبعثن، ثم لنخبرن يوم القيامة بجميع ما عملتموه في
الدنيا، وتجاوزون عليه، وبعث الله عباده من قبورهم أحياء بعد
موتهم للحساب والجزاء أمر سهل عليه

فآمنوا بالله ورسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه، والله ذو
خبرة بالغة تامة بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه شيء من
ظواهرها وبواطنها، وسيجازيكم عليها

يوم يجمعكم الله جميعاً؛ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم- ليوم
القيامة، ذلك يوم القيامة الذي يظهر فيه الغبن والتفاوت بين
الناس؛ فيعذب فيه أهل الحق أهل الباطل، وأهل الإيمان أهل
الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ومن يؤمن بالله ويعمل
بطاعته، يمح الله عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري أنهارها فيها
من تحت قصورها وأشجارها، لا يثين في تلك الجنات أبداً، فلا
يموتون فيها، ولا يخرجون منها. ذلك هو الظفر العظيم الجالب
للمسار، والمُنْجِي مِنَ الْمَضَارِّ

والذين كفروا بالله وكذبوا بآياته أولئك أصحاب النار
المازموون لها دوماً، الماكثون فيها أبداً، وبئس المَرَجُ
والمُنْقَلَبُ الذي يصير إليه الكفار في الآخرة: النار

ما أصيب أحدٌ بأيِّ مُصِيبَةٍ كانت إلا بقضاء الله تعالى
وتقديره ومشيئته، ومن يؤمن بالله ويعلم أن المصائب بإذنه

وَقَدَرَهُ، يُوقِقُ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْحَقِّ؛ فَيُسَلِّمُ لِأَمْرِهِ، وَيَرْضَى بِقَضَائِهِ،
فَتَهْوَنَ عَلَيْهِ مُصِيبَتُهُ، وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ تَامٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ سُبْحَانَهُ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
وَرَسُولُهُ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله، فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ إِبْلَاجُ مَا
أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ إِبْلَاجًا وَاضِحًا تُقَامُ بِهِ الْحُجَّةُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حِسَابُكُمْ،
بَلِ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى ذَلِكَ

اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ؛ فَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ،
وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيُقَوِّضُوا جَمِيعَ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ أَعْدَاءُ لَكُمْ؛
إِذْ يُنَبِّطُونَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ يَشْغَلُونَكُمْ عَنْهَا، أَوْ يَحْمِلُونَكُمْ
عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ فَاحْذَرُوا الْوُقُوعَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ تَغَفَّوْا -أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ- عَنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، وَتَتْرَكُوا عُقُوبَتَهُمْ وَتَأْنِيْبَهُمْ،
وَتَسْتَرْوُوا عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ،
وَيَغْفِرُ لِلَّذِينَ يَغْفِرُونَ، وَيَرْحَمُ الَّذِينَ يَرْحَمُونَ

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ بَلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ لَكُمْ؛ فَاحْذَرُوا أَنْ تَقَعُوا
-بِسَبَبِ الشُّغْلِ بِهِمْ- فِي الْمُنْهَيَّاتِ، أَوْ تَتْرَكُوا امْتِثَالَ الْمَأْمُورَاتِ،
وَاللَّهُ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ لَمْ تَشْغَلْهُ أَمْوَالُهُ وَأَوْلَادُهُ وَأَزْوَاجُهُ
عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا تُؤْثِرُوا لَهُمْ عَلَى مَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ

فَاتَّقُوا اللَّهَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ،
بِقَدْرِ طَاقَتِكُمْ، وَاسْمَعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَكُونُوا
مُنْقَادِينَ لَهُ مَطِيعِينَ، وَابْذُلُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ
المَفْرُوضَةِ، وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ لَأَنْفُسِكُمْ

في الدنيا والآخرة، ومن سلمه الله من شدة حرص النفس على جمع المال، فخالف هواها في إمساك المال فأنفق؛ فأولئك هم الفائزون الذين أدركوا المطلوب، ونجوا من المَرهوب
 إن تُنفقوا من طيب أموالكم احتساباً للأجر عند ربكم بلا من ولا أدى، فالله يثيبكم على إنفاقكم هذا بأجرٍ كثيرة، قد تبلغ سبعمئة ضعف أو أكثر، ويغفر الله لكم ذنوبكم، بسترها عليكم، ووقايتكم من شرّها؛ جزاء لكم على إنفاقكم، والله ذو شكرٍ بالغ وكثيرٍ للمنفقين في سبيله، ويجزيهم على القليل الكثير، حلیم على عباده؛ فلا يعاجلهم بالعقوبة على ذنوبهم، بل يمهّلهم عالم كل ما يغيب عن عباده، وجميع ما يشاهدونه؛ فلا يخفى عليه شيء، العزيز الذي يغلب ولا يغلب، الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه اللائق به

يا أيها النبي -الخطاب للنبي وأمه تبع له- إذا أردتم طلاق زوجاتكم فطلقوهن في زمن عدتهن بأن تطلقوهن وقت طهرهن الذي لم تجامعهن فيه، واحفظوا -أيها الأزواج- عدة المطلقات، فلا تنهأونوا في ضبط أيامها، ومعرفة بدايتها ونهايتها، واتقوا الله الذي أحسن إليكم -أيها الأزواج- فاحذروا عصيان أمره، وتعدي حدوده، لا تخرجوا من طلاقكم من نساءكم من البيوت التي كن يسكنن فيها قبل طلاقهن، بل أبقوهن فيها حتى تنتهي عدتهن، ولا يخرجن هن أنفسهن كذلك إلا أن يرتكنن فاحشة واضحة، وشديدة القبح، كبذاءة اللسان، أو أذية أقارب الزوج، أو الوقوع في معصية عظيمة كالزنا، وتلك الأحكام المذكورة قد حددها الله وبينها لكم؛ فقفوا عندها، ولا تعتدوها، ومن يتجاوز أحكام الله التي شرعها لعباده في الطلاق

وغيره، فقد أضرَّ نفسه بتضييع مصلحتها في الدنيا والآخرة، واكتسابها الآثام، لا تدري ما يحدث في مستقبل الأيام؛ ففعل الله يحدث بعد طلاق الرجل لزوجته أمرًا نافعًا لهما، وذلك بأن يصلح ذات بينهما، ويُعَيَّر ما في قلوبهما من البغض والعداوة إلى المودة والمحبة؛ فيراجعها

فإذا قاربت المطلقات الرجعات انتهاء عدتهن فارجعوهن إن شئتم، بشرط إعطائهن جميع حقوقهن؛ كالنفقة، والكسوة، والمسكن، وحسن الصحبة، من غير قصد الإضرار بهن وحبسهن، أو تركوهن حتى تنقضي عدتهن فيصرن باننات منكم، بلا تعنيف ولا مشاتمة ولا مخاصمة، مع إعطائهن جميع حقوقهن أيضًا؛ كبقية المهر، ومُتعة الطلاق، وغير ذلك، وأشهدوا -أيها الأزواج- على رد زواجكم المطلقات قبل انتهاء عدتهن، رجلين من عدول المسلمين، ممن ترضون دينهما وأمانتهما، وأثوا -أيها الشهود- الشهادة صحيحة على وجهها إذا طلب منكم أداؤها، بلا زيادة ولا نقصان، ولا تبديل ولا تغيير؛ إخلاصًا لله تعالى، وامتنالًا لأمره، ذلك الذي بيناه لكم، وأمرناكم به من الأحكام: إنما يتعطل ويعمل به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن يتق الله بامتنال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه؛ في شأن الطلاق وغيره، يجعل الله له مخرجًا مما وقع فيه من شدة، فيدفع عنه ضرره، ويسهل له أمره

ومن يتق الله يسهل له أسباب الرزق من خير الدنيا والآخرة؛ من جهة لا تخطر بباليه، وعلى وجه لا يشعر به! ومن يعتمد على الله وحده، ويفوض جميع أمره إليه في طلب الخير أو دفع الشر؛ فالله كافيه ما أهّمه من أمر دينه ودنياه وآخرته، إن الله

مُمْضٍ أَمْرِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَفُوزِ أَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ،
وإن تَأَخَّرَ وَقْتُهُ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَمَّا شَرَعَ عَلَيْهِ وَخَلَقَهُ وَقَدَرَهُ حَدًّا مَعْلُومًا، وَمِقْدَارًا مُعَيَّنًا،
وَوَقْتًا مَضْرُوبًا؛ كَالطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ، وَحَالِ الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ

إِنْ شَكَّكُمْ فِي عِدَّةِ أَزْوَاجِكُمُ الْمُطَّلَقَاتِ اللَّاتِي انْقَطَعَ حَيْضُهُنَّ
انْقِطَاعًا لَا يُرْجَى رُجُوعُهُ، فَلَمْ تَذُرُوا مَا هِيَ؛ فَاعْلَمُوا أَنَّهَا ثَلَاثَةٌ
أَشْهُرٍ، وَالْمُطَّلَقَاتُ اللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ مِنْ قَبْلُ؛ لَصِغَرِ سِنِّهِنَّ أَوْ
لِغَيْرِهِ كَمَرْضٍ وَنَحْوِهِ، فَعِدَّتُهُنَّ أَيْضًا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَأَمَّا
الْمُطَّلَقَاتُ الْحَوَامِلُ فَإِنَّ عِدَّتَهُنَّ تَنْقُضِي بَوْضِعَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ
مِنْ حَمْلٍ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ بَامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، يُسَهِّلْ عَلَيْهِ
جَمِيعَ أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهِ وَآخِرَتِهِ

ذَلِكَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ لَكُمْ وَأَمَرْنَاكُمْ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ السَّابِقَةِ: أَمْرُ اللَّهِ
أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ؛ لَتَعْمَلُوا بِهِ، وَتُعْظِمُوهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
بَامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، يَمَحُ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُكَثِّرْ لَهُ ثَوَابَ
أَعْمَالِهِ

أُسْكِنُوا -أَيْهَا الْأَزْوَاجُ- نِسَاءَكُمْ الْمُطَّلَقَاتِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي
تَسْكُنُونَ فِيهِ مِمَّا تَوْفَّرَ لَدَيْكُمْ، وَتيسَّرَ وُجُودُهُ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ
عِدَّتُهُنَّ، وَلَا تَضُرُّوهُنَّ -أَيْهَا الْأَزْوَاجُ- بِأَيِّ ضَرَرٍ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ
تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فِي مَسْكَنِكُمْ، فَتَضْطَرُّوهُنَّ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ قَبْلَ
انْتِهَاءِ عِدَّتِهِنَّ، وَإِنْ كَانَتِ الْمُطَّلَقَاتُ حَوَامِلَ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ إِلَى
أَنْ تَنْتَهِيَ عِدَّتُهُنَّ بِوِلَادَتِهِنَّ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ نِسَاءَكُمْ الْمُطَّلَقَاتِ
أَوْلَادَكُمْ فَأَعْطُوهُنَّ أَجْرَةَ الرِّضَاعَةِ، وَلِيَتَشَاوَرَ كُلُّ مَنْ الرِّوَجِ
وَمُطْلَقَتِهِ، وَيَأْمُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِلطِّفْلِ الرِّضِيعِ، بَلَا

ضرر ولا ضرار، ويَقْبَلُوا ذلك، وَيَعْمَلُوا به، فلا يُقْصِرُ الوالدُ في النَّفَقَةِ، ولا تُقْصِرُ المُرْضِعَةُ في القيام بِشَأْنِ الرِّضِيعِ، وإن اختلفَ الزَّوْجُ ومُطَلَّقُهُ في شَأْنِ رِضَاعِ وَلَدِها مِنْه، فلم يَنْفَقَا على الأجرَةِ أو امتَنَعَتِ الأمُّ عَنِ الرِّضَاعِ، فلا تُكْرَهُ على إرضاعه، ولَيْسَ تَأْجِرُ الأبُّ لَوْلَدِهِ مُرْضِعَةً أُخْرَى

على مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ أن يُوَسِّعَ في النَّفَقَةِ على مُطَلَّقَتِهِ وَلَوْلَدِهِ الرِّضِيعِ، وَمَنْ كانَ فَقِيرًا قد ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا أَعْطاه اللهُ مِنَ الرِّزْقِ، على قَدْرِ مالِهِ، لا يُكَلِّفُ اللهُ أَحَدًا مِنَ النَّفَقَةِ الواجِبَةِ عَلَيْهِ إِلَّا بِقَدْرِ ما أَعْطاه مِنَ الرِّزْقِ؛ كُلٌّ بِحَسَبِ حالِهِ مِنَ الغِنَى والفَقْرِ، سَيَجْعَلُ اللهُ لِلْفَقِيرِ بَعْدَ الْفَقْرِ والشَّدَّةِ والضِّيقِ غِنًى وَرِخاءً وَسَعَةً

وما أَكْثَرَ الثَّغْرِ الَّتِي طَغَى أَهْلُها، فَتَجَاوَزُوا أَمْرَ اللهِ وَرُسُلِهِ، وخَالَفُوا شَرْعَهُ، وَتَعَدَّوا حُدُودَهُ، وبَالَغُوا في مَعْصِيَتِهِ؛ فَحَاسِبْهُمْ اللهُ حِسَابًا أَحْصَى عَلَيْهِمْ فِيهِ جَمِيعَ ذُنُوبِهِمْ، فلم يَعْفُ لَهُمْ عن شَيْءٍ مِنْها! وَعَذَّبْناهُمْ عَذابًا عَظِيمًا فَظِيمًا مُنْكَرًا

فَذاقُوا بِذلِكَ العَذابِ العَاقِبَةَ الوَخِيمَةَ؛ لِعَثُوبِهِمْ عَنِ أَمْرِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَكانَ آخِرُ أَمْرِهِمُ الخَسارَةُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ

هَيَّا اللهُ تَعَالَى لَهُمْ عَذابًا شَدِيدًا في الآخِرَةِ، فَخَافُوا اللهُ واحذَرُوا سَخَطَهُ وَعَذابَهُ، بِامْتِثالِ أَوامِرِهِ، واجْتِنابِ نَواهِيهِ -يا أَصحابَ العُقُولِ الصَّافِيَةِ والأَفْهَامِ المُسْتَقِيمَةِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ-، قد أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ -أَيُّها المُؤْمِنُونَ- الْقُرْآنَ الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ اللهُ بِهِ، وَيُنَبِّهُكُمْ على الإِيْمانِ بِاللَّهِ، والقيامِ بِطاعَتِهِ

أَرْسَلَ اللهُ رَسولَهُ مُحَمَّدًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ -أَيُّها المُؤْمِنُونَ- آياتِ الْقُرْآنِ الْمُؤَصِّحَاتِ لِلهُدَى وَالْحَقِّ على نَحْوِ لا لَبْسَ فِيهِ، لِيُخْرِجَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ
وَالْمَعْصِيَةِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ، وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَوَفَّقًا لَشَرْعِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ
يُدْخِلُهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا،
وَقُصُورَها مَاكِثِينَ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ أَبَدًا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا
يُخْرَجُونَ مِنْهَا، قَدْ وَسَّعَ اللَّهُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي الْجَنَّةِ
رِزْقَهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَسَائِرِ مَا أَعَدَّه لِأَوْلِيَائِهِ فِيهَا،
وَطَيْبِهِ لَهُمْ

اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ مِنَ الْعَدَمِ بِقُدْرَتِهِ النَّامَةَ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ، وَخَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَ عَدَدِ السَّمَوَاتِ، فَجَعَلَهُنَّ سَبْعَ
أَرْضِينَ، يَنْتَزِلُ أَمْرُ اللَّهِ بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، لِتَعْلَمُوا أَيُّهَا
النَّاسُ كَمَالَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالَ عِلْمِهِ؛ فَهُوَ بَالِغُ الْقُدْرَةِ عَلَى
فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، مُحِيطٌ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مُلْتَمِسًا
بِتَحْرِيمِهِ رِضًا بِعُضْ أَرْوَاجِكَ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ
بِهِمْ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَرَحِمَكَ

قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِيلَ أَيْمَانِكُمْ بِالْكَفَّارَةِ الَّتِي شَرَعَهَا وَبَيَّنَّهَا لَكُمْ
مِنْ قَبْلُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَاللَّهُ وَلِيُّكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - يَتَوَلَّى
أُمُورَكُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْبَالِغُ الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ
وغيرها، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ، وَقَدْرُهُ وَتَدْبِيرُ عِبَادِهِ؛ فَيَضَعُ
كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ

وَاذْكُرْ حِينَ أَخْفَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى زَوْجَتِهِ
حَفْصَةَ كَلَامًا - وَهُوَ تَحْرِيمُ مَا حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ - وَأَمَرَهَا أَلَّا
تُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا، فَلَمَّا أَخْبَرَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ بِهِ، وَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهَ

على إفشائها سرّه؛ أخبرها الرسول ببعض ما أفسدته مؤنبًا لها، وترك إخبارها ببقية كلامها؛ كرمًا منه وحلمًا، فسألته حفصة متعجبة من معرفته: مَنْ أخبرك بذلك؟! قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بذلك العليم بكل شيء، الخبير الذي لا تخفى عليه خافية

إن تتوبًا إلى الله -يا حفصة وعائشة- فقد صدر منكما ما يوجب التوبة؛ فقد مالت قلوبكما عن الحق والصواب، وعمّا ينبغي عليكما من الأدب مع النبي، وحُب ما يُحبه، وكراهة ما يكرهه، وإن تتعاونّا على إيذاء رسول الله، فإن الله وليه وناصره عليكما، وجبريل وخيار المؤمنين -كأبي بكر وعمر- أولياء له أيضًا يتولّونه وينصرونه، والملائكة مع نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين أعوان أيضًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على من يريد أذاه ومساءته

عسى ربّ محمدٍ إن طلقك -يا نساء النبي- أن يُبدله أزواجًا أفضل منكنّ مسلمات مؤمنات: قائمات بالشرائع الظاهرة والباطنة من العقائد الصحيحة وأعمال القلوب، مطيعات لله ورسوله على الدوام، قائمات بها أحسن قيام، مُقلعات عن الذنوب إذا وقعن فيها، مُتذلّلات لله بعبادته، صائمات، بعضهنّ ثيبات قد تزوجن من قبل، وبعضهنّ أبكار لم يتزوجن من قبل يا أيّها الذين آمنوا اجعلوا بين أنفسكم وأهلكم وبين النار حاجرًا يقيكم منها؛ بالزام أنفسكم القيام بأمر الله واجتناب نهيه، وبتعليم أهلكم وتأديبهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، هذه النار حطبها الذي يلقى فيها فتوقد به: هو الكفار والحجارة، وعليها ملائكة وكلهم الله بالعذاب، غلاظ لا

يَرْحَمُونَ، شِدَادُ أَقْوِيَاءُ! لَا يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَلَا يَمْتَنِعُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَفْعَلُونَ كُلَّ مَا يُؤْمَرُونَ بِفِعْلِهِ؛ فَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى تَنْفِيذِهِ

يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ عَنْ كُفْرِكُمْ؛ فَقَدْ فَاتَ وَقْتُ قَبُولِ الْعِتْذَارِ، وَزَالَ نَفْعُهُ! إِنَّمَا تَنَالُونَ الْيَوْمَ جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُوبُوا مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً صَادِقَةً بَنِيَّةً خَالِصَةً، عَسَى اللَّهُ أَنْ تُبْتِمَ تَوْبَةً تُصَوِّحُكُمْ أَنْ يَمْحُو عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيَقِيمَ سُوءَهَا، وَيُدْخِلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا. يَوْمَ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ مُحَمَّدًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَلَا يَهَيِّبُهُمْ وَلَا يَفْضَحُهُمْ، تُورُّهُمْ يَمْضِي مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مِنْ أَمَلِهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا زِدْ لَنَا نُورًا حَتَّى يَكُونَ فِي غَايَةِ التَّمَامِ، وَامْخُ ذُنُوبَنَا، وَقِنَا شَرَّهَا، وَأَزِلْ أَثَرَهَا، إِنَّكَ وَحْدَكَ بَالِغُ الْقُدْرَةِ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ الْمَحَارِبِينَ بِالسَّيْفِ، وَغَيْرِ الْمَحَارِبِينَ مِنْهُمْ بِالْحُجَّةِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِالسَّيْفِ إِنْ أَظْهَرُوا كُفْرَهُمْ، وَبِالْحُجَّةِ لِرَدِّ شُبُهَاتِهِمْ، أَوْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى مَنْ يَقَعُ فِيهَا مِنْهُمْ، وَكُنْ غَلِيظًا عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَإِنْ مَسَاكِنُهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَارُ جَهَنَّمَ، وَهِيَ مَثْوَاهُمْ، وَبُسْ الْمَرْجِعُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ جَهَنَّمَ!

جَعَلَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةً نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ، كَانَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ زَوْجَتَيْنِ لِعَبْدَيْنِ صَالِحَيْنِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمَا نُوحٌ وَلُوطٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَخَانَتَاهُمَا فِي الدِّينِ

بترك الإيمان برسالتيهما، وعدم المتابعة على دينهما! فلم يدفع
نوح ولو طُعن عنهما شيئاً من عذاب الله، ولم ينفعاهما؛ لكفرهما،
وقيل لامرأتي نوح ولو طُعن: ادخلا النار مع غيركما من الداخلين
فيها؛ فاتصال الكافر بالمؤمن، ومعاشرته له، وفربه منه؛ لا
يُفيده شيئاً، ولا ينفعه عند الله!

وجعل الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون، حين قالت: يا رب
ابن لي في جوارك بيتاً في الجنة، وخلصني من صُحبة فرعون
وتسلطه، ومن كفره وضلاله، وخلصني من قوم فرعون
المُشركين

فاتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب
عليه

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت
فرجها وصانته من الفاحشة؛ لكمال عفتها وصلاحتها، فنفع
جبريل بأمرنا في فرجها، فحملت بابنها عيسى عليه السلام،
وآمنت بكلمات الله، وآمنت بكُتُبِه، كالنُوراة، وكانت من جُملة
القوم المُطيعين لله، المواظبين على طاعته